مسرحيات شيكسبير

فى كتيب لى ، نشرته سنة ١٩٠٥ [١] ، ذهبت مع القائلين بأن مسرحيات شيكسبير إنما كتبت للقارىء ولم تكتب للمسرح ويبدو أن كثيرين يذهبون هذا المذهب ؛ إلا أن نفسى قد ارتاحت حينما عثرت فى بعض ما كتبه جيتة بالجمل الآتية ، وبجمل غيرها :

« إن شيكسبير لا جَرم قد نقش اسمه فى التاريخ بين رجال الشعر ، أما فى تاريخ عالم المسرح فلا يبدو فيه إلا عرضا » .

لماذا يستحيل إخراج شيكسبير إخراجا واقعيا ؟ :

«إن طريقة شيكسبير بحذافيرها ، فى التدرج بموضوعاته هى ، طريقة قدر بعينه ، من استحالة تنفيذها فى الواقع فوق المسرح الواقعى » .

« إن ضيق المسرح فى ذاته كان يضطره إلى التضييق على نفسه » .

وجيته ينتهى إلى تلك النتيجة فى أخريات حياته ، وليس فى أولها ، وذلك بعد أن دلته خبرته فى المسرح على أن الأدب والمسرح شيئان مستقلان عن بعضهما البعض ، وينبغى أن يكونا كذلك ، وأنا لا أزال عند رأيى ـ من أن مسرحيات شيكسبير لم تكتب للإخراج المسرحى ، وبخاصة لأنى أنا نفسى أعمل الآن فى إخراج مسرحيات عدة

(١) أعيد نشره فى كتابى هذا .

لشيكسبير . ولهذا أتيحت لى فرصة النظر فى « طبعات » كثيرة مختلفة من «طبعات» رواياته ، كما يسمونها ، ولا سيما الطبعات المسرحية . ولذا تبدهنى هذه الحقيقة الواحدة التى تقول بأن الناس الذين يؤمنون بأن شيكسبير كان أستاذا من أساتذة الفن المسرحى كانوا يختزلون من هذه الروايات سطوراً ومقطوعات ؛ بل مناظر برمتها : السطور والمقطوعات والمناظر التى يقولون إنها كتبت للمسرح .

هل يجوز الحذف فى شيكسبير؟ :

أما قولنا : إن الشىء كامل لا عيب فيه : ثم نأتى فننقصه من أطرافه ، فهذا هو موضع الغرابة التى ليس مثلها غرابة . ونحن نسمح للمخرج الذى يريد حذف أجزاء ما من إحدى روايات شيكسبير ، بهذا الحذف ، على شريطة ألا يقول فى الوقت نفسه : إن شيكسبير كان أستاذا لا عيب فيه من أساتذة الفن المسرحى . إن المسرحية تتقدم الفنون المقصود بها وجه الجمهور ، إن كان هناك فنون مقصود بها وجه الجماهير ، وإذا كان شيكسبير لم يُفصح عما يريد للجماهير فى كل وقت ، فلن يكون فى وسع مخرج المسرح أن يتلافى هذا ببتر أجزاء كبيرة من النص الأصلى .

وقد جرى المخرجون على حذف تلك المقطوعة الطويلة من هاملت ، والتى أولها : «والآن تنهض جميع الظروف ضدى ، بحجة أنها «لا تفيد المسرحية »، ومن أعجب العجب أن يسمح للمخرجين بأن يقرروا إن كانت هذه الفقرة أو تلك فى مسرحية لشيكسبير لازمة لهذه المسرحية أو غير لازمة لها ، بعد أن انتهى شيكسبير نفسه من تقرير ذلك . ويحذف المخرجون فقرات أخرى من المسرحية : لأنهم يعتقدون أنها فقرات غير محتشمة ، أو بحجة أن الجمهور ربما عدها كذلك . وتستطيع أنت أن تحذف تلك الفقرة التى تجرى بين أوفيليا وهاملت فى الفصل الثالث ، بالمشهد الثانى ، حينما يكون هاملت مستلقيا عند قدميها ، لترى أنك نقصت شخصية هاملت كثيرا من قوتها . وبدلا من أن تكون أوفيليا امرأة ذات ألمعية ، تصبح مشخصة فجة من مشخصات فجر العصر الفكتورى . وبدلا من أن يكون هاملت رجلا عصريا من أهل زمانه ،

يذكرك بحقبة لا تزيد عن أن تكون مجرد حقبة من حقب السلوك ، تراه أشبه الناس بالقس الذى يندبونه لوعظ الجماهير .

والرقيب معترض ولابد على هذه الفقرة وفقرات أخرى فى مسرحيات شيكسبير ، ويمكن أن يكون محقا الحق كله فى ذلك ، لأن مسرحيات شيكسبير لم تكتب للمسرح ؛ بل كتبت للقراءة فحسب ، فإذا رغبت أنت فى تمثيلها ، فمثلها بحالها التى هى عليه ، أولا تمثلها أبدا [1] . ومن السفه أن تزعم أن حذف فقرات قليلة لن يضير هذه المسرحيات ، مثلها فى ذلك مثل الجسم الإنسانى الذى لن يضيره أن تحذف منه العين مثلا!

الحذف من شيكسبير همجية فى الإخراج :

إن استباحتنا لأمثال تلك المسرحيات العظيمة ليست من المدنية فى شىء ؛ بل هى الهمجية فى أبشع صورها . وهم يتعللون بحجة أخرى لتصرفهم هذا ، فيقولون : إن التمثيل ينبغى ألا يستغرق إلا فترة من الوقت معينة ؛ ونحن نرد على هذه الحجة بأن الوقت لا شأن له بالتمثيل ؛ لأننا لا نبالى بالوقت إذا كان التمثيل جميلا ، أما إذا كان رديئا فيجب أن ينتهى بسرعة ، ولهذا كان الدفاع عن وجوب انتهاء التمثيل فى وقت قصير برهانا على خوف المخرج من أن المسرحية ستؤدى أداء سيئا ، وإلا فهل يمكن أن يشكو أحد من كثرة ما يقدم إليه من محاسن ؟

الطريقة المثلى لإخراج شيكسبير :

فإن لم يكن ذلك كذلك ، فمن الممكن جدا أن تمثل أية مسرحية من مسرحيات شيكسبير بتمامها ، بشرط ألا تكون مناظرنا بالغة من التعقيد حد السخف ، حتى ليتطلب تغيير أحدها فى الفصل الواحد عشرين دقيقة مثلا ، وبشرط ألا يتلكأ الممثلون عند كل مقطع ؛ بل يشحذون ذاكرتهم لتسعفهم فى الإلقاء ، إذ إن هذا الإبطاء فى إلقاء

---

(١) « . . ! إننى ليسرنى بالغ السرور أن أجد فى وسعى أن أظاهر رأى تيك Tieck فيما يبديه من حماسة لما فى مسرحيات شيكسبير من وحدة وتماسك ومنعة ، وإصراره على أن تمثل كما هى ، دون حذف أوتعديل أيا كان هذا الحذف أو ذاك التعديل . . » جيته .

أشعار شيكسبير ، هو الذى جعل الكثيرين يضيقون ذرعا بشكسبير . إن مسرحيات شيكسبير لتفيض بمشاهد العاطفة الجامحة ذات الأوصاف المذهلة التى تحير الألباب ، أضعاف ما تحيرها الأوصاف التى ترد فى مسرحيات الجنوب ، ونحن مع ذلك نبطىء فى أدائها ، ونتفيهق ونزحف بها زحفا ، ثم يشدهنا أن يأتى رجل مثل جراسو إلى بلادنا ليرينا كيف ينبغى أن نُلقى وأن نمثل وأن نكشف عن فجاءات الانفعالات النفسية وفورات جنونها . ويبدو أننا ننسى أن الانفعال نوع من أنواع الجنون ، ولهذا نوجهه وجهة منطقية ، ونطلقه فى صوت القاضى الرزين ، وبلغة الأرقام ، فكأنه فى نظرنا «عملية حسابية » تقتضى الجمع والطرح ، وهكذا نجعل من عطيل « عطاراً » لا زوجاً مهتاجا يخنق ديدمونه . إن الممثلين العاطفيين الإنجليز يجب ألا يقنعوا بُسباتهم ؛ بل يجب أن يكتسحوا الممثلين المتخمين الأغبياء الذين يغالون فى تلكئهم ، وطردهم من المسارح ودور التمثيل جميعا .

وبعد . . فهل يمكن إذن إخراج مسرحيات شيكسبير كما ينبغى لها أن تُخرج؟ . . كلا . . حتى لو توخينا ذلك كله . . بل إنه لو اجتمع أبرع ممثلى الدنيا وأشدهم انفعالا وحاولوا أن يمثلوا هاملت ؛ لما أمكنهم أن يمثلوه على الوجه الصحيح . . ذلك أننى أخشى أن إخراج مسرحية هاملت على الوجه الصحيح هو من رابع المستحيلات .

❋ ❋ ❋